

An Interpretation of Quakerism

تفسير عقيدة الكويكرز

بقلم روفوس جونز

ان الفكرة الحوهرية للكويكرز، أي "النور الداخلي"، هي "خبرة وتجربة وليست نظرية مجردة". إنها نوع من الدين الذي يبتعد عن المفاهيم اللاهوتية الجافة وتُصر بدلا من ذلك على أنها تجربة إلهية حقيقية وحيوية كشفت للأشخاص في نفوسهم وفي حياتهم الشخصية. لم يعد المسيح يمثل ذلك الكائن الذي جاء إلى العالم لتنفيذ مخطط غامض للخلاص، وهو مخطط تستخدمه سلطة الكنيسة للتواصل، بعد أن كان هو نفسه قد انسحب إلى السماء التي جاء منها.

المسيح هو الله الذي يتجلى بشكل أبدي، وهو في علاقة مباشرة مع البشر. وبمجيئه لم يغير المسيح الموقف من السلوك الإلهي، فهو بين وجود الله وجعل الحقيقة واضحة إلى الأبد بأن الله يكشف عن ذاته وحاضر في الحياة البشرية حيثما كان الإنسان منفتحاً ومتجاوباً. لذلك نحن لسنا بحاجة للذهاب إلى مكان ما لنجد الله أكثر مما تحتاج السمكة للطيران لتجد البحر أو يحتاج النسر للغطس ليجد الهواء. إذا كان هذا صحيحاً، فإنها حقيقة عظيمة وبالغة الأهمية، تستحق أن تكافح ونكابد من أجلها. لقد آمن رواد الكويكرز إيماناً راسخاً وقويّاً أن مثل هذا الشيء لا بد أن يكون صحيحاً، وهم من اكتشفوه واختبروه وكانوا أنفسهم مثلاً على ذلك. أنا اليوم متأكد من ذلك كما كانوا متأكدين في زمنهم أنه ليس إيماناً عفا عليه الزمن، بل هو تجربة حاضرة. وقد يقول الكثير منا اليوم: "هذا هو ما كنت أنتظره وأسعى إليه منذ طفولتي. هذا هو [الله]. لا إله غيره. لقد وجدت إلهي. لقد وجدت مخلصي"¹. في الواقع، لدينا في أساسيات الفلسفة وعلم النفس أكثر مما كان لدى الكويكرز الأوائل لنؤمن بهذه الحقيقة عن طبيعة الله.

أنه ليس إيماناً، كما افترض البعض، الذي ينطوي على وحدة الوجود أكثر من أي إيمان ديني آخر. إذا كان هنالك شيء حقيقي فإنه شخصيتنا البشرية. فهي لا تندمج ولا تتحد ولا تفقد كينونتها ولا تتوقف عن كونها ملكي أو لك عن طريق قبول هذا الإيمان بأن الله يكشف باستمرار عن الحياة الربانية والمحبة والقوة الروحانية الموجودة في أشخاص مثلنا. وهذا لا يعني أن العالم حولنا ليس حقيقياً، ولا أن الألم ليس حقيقياً، ولا أن الشر والخطيئة ليست حقائق واقعية لا تزال. هنالك في الوقت الحاضر بعض أسرار الحياة المرتبطة بطبيعتنا كبشر، وعميقة جداً في انهيارنا وسقوطنا السريع. لندع الناس ينتظرون النور الكامل فلدينا كل الأسباب لترقبه. وفي غضون ذلك علينا ان نعمل على إشهار هذه الحقيقة الرئيسية بكل ثقة ووضوح وهي أن الله ليس غائباً، وليس غير منظور، ولكنه واضح وجليّ حقاً، تماماً

كجلاء الضوء أو الكهرباء أو الجاذبية أو الحياة، ويكشف عن نفسه بالطريقة الوحيدة التي يمكن أن يتجلى بها على أكمل وجه، ألا وهي في النفس البشرية. وعلاوة على ذلك، وكما يؤمن الآخرون، سنعمل على الإعلان أن الوحي الإلهي ما زال متواصلاً، حيث إننا اكتشفنا الله بأنفسنا ولنا معه علاقات حياتية، ونحن واثقون من أن الطبيعة الروحانية للبشر تستطيع الاستدلال والتوصل إلى الله. إن مثل هذا النوع من التجربة هو أساس الدين وهو ما يعنيه لنا "النور الداخلي" الآن.

وبطبيعة الحال، لا يعتبر التحقق البطيء من الحقيقة من خلال العملية التاريخية بديلاً عن التاريخ، كما أنه ليس بديلاً عن الكتاب المقدس، الذي هو التعبير الأدبي الأسمى للتجربة الدينية. ولا يوجد "بديل" لأي من طرق الوحي الإلهي تلك. إن الذي يتجاهل الإرادة والعناية الإلهية في التاريخ والكتاب المقدس لا يمكن أبداً أن يعوض عن هذا الإهمال من خلال التأكيد على الادعاء بأنه قد تلقى الوحي الخاص. لا يمكن لأحد أن يكسر الاتصال العضوي مع الحركات الروحانية للماضي، ويحصر النفس في هذا المسار الضيق من المكتسبات، دون أن يعاني من الخسائر. لكن وفي الوقت نفسه، من الواضح، على أساس عقيدة الكويكرز، أنه لا يمكن الاعتقاد بأن الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للحقيقة والوحي، أو أنه كلمة الله الواحدة والوحيدة. وإنما يتبوأ مكانته كنمط من الأدب الروحاني، غني بتجارب ظاهرة للحياة البشرية أثارها إحياءات لا لبس فيها لقيمة دينية لا تضاهي.

ثمة سمة رئيسية أخرى من سمات جمعية الفرندز (الكويكرز) وهي التجربة التي قاموا بها، وما زالوا يقومون بها، في ممارسة الدين بطريقة غير رسمية. تقترح جمعية الفرندز (الكويكرز) إسقاط الحمل الثقيل من "المفاهيم" اللاهوتية بالكامل، بما في ذلك الفساد الفطري عند الناس؛ كما تطرح أيضاً التخلص من كل صغيرة أو كبيرة من آثار الكهنوتية، كل ما ينطوي على نفوذ وساطة للكهننة أو أي وساطة دينية لشخص ما من قبل شخص آخر. من المفترض أن كل شخص في هذه التجربة الجريئة يمتلك القدرة الروحانية، وبما أن الله روح، فهو يأتي إلى العلاقة الحياتية مع الرب مباشرة ودون وساطة. لا يوجد "مفضلون"، لا وجود لأشخاص ذوي امتيازات حصرية تمكنهم من القيام بـ"الأمر المقدسة" للآخرين. يجب على جميع الناس أن يكونوا متدينين من أجل أنفسهم وإلا فلن يجنوا أبداً ثمار الدين. الحياة في جوهرها سر مقدس، والعديد من الأشياء الأكثر شيوعاً في الحياة اليومية تقودنا إلى الوعي بالوجود الحقيقي بحيث نشعر، مرة أخرى، أنه لا حاجة لسر مقدس خاص أو وسيط متميز. الكهنوتية هي عبارة عن خدمات متنوعة جداً. أي شخص يمكن أن يكون مسيحياً يمكنه أن يكون قسيساً من نوع ما. هنالك الكثير من الأنواع والأشكال لهذه الخدمات ولها العديد من الدرجات. ولكن كما الحياة نفسها، يتم تحديد القيمة الروحانية إلى حد كبير، بناء على الإيمان والسمات الشخصية، وتفاني الروح، وقوة الحساسية نحو الإرشاد والاستعداد لدفع ثمن الفضيلة. هذه المغامرة الإيمانية في

تجربة الدين بطريقة غير معتادة هي واحدة من أكثر المحاولات التي قامت بها جمعية الفرندز (الكويكرز) أصالةً، وأكثرها جرأة وحسماً.

لم ترفض جمعية الفرندز (الكويكرز) في الماضي اقتصار تجاربها المقدسة على مناسبات نادرة فقط ، وإنما رفضت أيضاً الحد من "الخدمة الإلهية" واقتصارها على عدد قليل من المواسم والنواحي المختارة. وقد سعت الجمعية إلى حمل الوعي والإلهام الرباني إلى جميع أنشطة الحياة ورفع مهام العمل اليومي والأعمال التجارية إلى المستوى الروحي وتحويلها إلى طرق الخدمات الدينية. ويعتبر هذا المثل الأعلى بلا ريب مثاليًا جديرًا بالملاحظة اليوم.

وأخيراً، أريد أن اتكلم عن عقيدة الكويكرز بكونها نمط حياة المسيح هو أسلوب عملي لتوجيه الحياة في العالم والاحتذاء به أمر جيد. إن تعاليمه وإخلاصه المتفاني للمبدأ الأساسي لهذه العقيدة أسس مملكة جديدة ونوعاً جديداً من المجتمع وعالمًا جديداً وطريقة جديدة للتعامل مع الشر، وقوة بناء جديدة. وقد قطع الفرندز شوطاً بعيداً في أخذ عقيدتهم على محمل الجد، أي نحو تجربتها فعلياً. وبقدر ما قبلوا بالمثل العليا وقدروا روحه، فقد رأوا أن الحرب وأسلوب الكراهية والانتقام أمور مستحيلة. إنهم يؤمنون أنه، ومهما حدث، لا يمكن القبول بهذه الأساليب لحل المشاكل العالمية. لا بد من إيجاد طريقة جديدة ويجب أن تكون وسيلة يتغلب فيها الخير على الشر، ينتصر فيها النور على الظلام، تهزم الحقيقة الباطل وتحقق بذلك مكاسبها وتتقدم بفعل طاقة المحبة التعاونية القوية.

ممارسة طريقة الحياة البناءة هذه، هي الشغل الشاغل لجمعية الفرندز الدينية (الكويكرز) في هذه اللحظة الحرجة الراهنة. لم يتم تحديد هذه "الطريقة" بمعالم واضحة محددة أو مؤشرات. فهي، مثل جميع المغامرات الروحية، تنطوي على مجازفات ومخاطر؛ وتدعو إلى رؤية عظيمة وإبداع في خلق التوجهات. لا يمكننا التقدم بالنصوص. يجب علينا أن نتقدم بالإيمان. ومما لا شك فيه أن العديد من الفرندز (الكويكرز) في الماضي قد وضعوا الكثير من النصوص المحددة. بعض أقوال يسوع الإيجابية عملت على تسوية القضية برمتها بالنسبة لهم، فقد وفرت الأرضية والأسس لرفضهم المشاركة في الحرب ولطريقة حياتهم الإيجابية. ومع ذلك، يتبين دائماً أن هذه الأرضية ليس لها أساس. الحرفية هي في أحسن الأحوال أساس ضعيف للإيمان الديني، والشرعية، أي أن الانصياع للأوامر، لا بد أن يكون شكلاً غير ناضج من أشكال الأخلاقيات. وعلاوة على ذلك، لا يمكن الاستشهاد بأي نص دون أن يفتح بتفسيرات عديدة ومتنوعة. لقد رأينا في هذه السنوات من الصراع أن كل نص منقل بالسلام في كتاب "العهد الجديد" مقتبس من منابر المدافعين عن الحرب ويمكن أن يفسر لتبرير أو تقديس المشاركة في ساحة المعركة. إن كتب الإنجيل لدينا ليست مكتوبة بلغة العلم الدقيقة. يتم التعبير عنها بأسلوب طبيعي حر من التواصل والحوار في الحياة والحركة، وللإلهام والأدب. هذه الكلمات لا يمكن أن يكون لها معنى واحد فقط.

يجب أن يُنظر إليها، كما ينظر إلى كافة الأشياء العظمى في العالم، من منظور شخصي متفاوت وبالعديد من الظلال الفردية الملونة. لقد صدق الكتاب المقدس كما في الكأس المقدسة أن المرء يرى حقًا ما يراه المرء.

إن ما يأسر "صديق" اليوم هو نمط من أنماط الحياة. وما يستحوذ على الروح هي الرؤية، والمثل الأعلى والتي تمتلك الروح. هذا هو الانطباع الذي لا يمكن إزالته من مشروع المسيح الذي يحمله المرء. قد يخطئ الشخص في تفسير هذه الحياة، وهذا المثل الأعلى لهذا الشخص الإلهي، ولكن سواء كان مصيبًا أم مخطئًا يرى المرء ما يراه، ولا يمكن للمرء أن يعمل شيئًا بخلاف رؤياه.

روفوس م. جونز (1863-1948) نشأ في مجتمع كويكر الريف في ولاية مين. وكان أستاذ الفلسفة في كلية هافرورد لعدة سنوات، وأيضًا مؤرخًا بارزًا وعالمًا متبحرًا في المذاهب الصوفية. وقد تعزز نفوذه الواسع كمؤلف وخطيب من خلال موهبته وميوله المرح في التفسير. وقدم إسهامًا عظيمًا نحو إنهاء الانقسامات بين الفرندز الأميركيين ونحو خلق مجتمع الفرندز العالمي.

تم نشر هذا المقال باللغة الانكليزية للتوزيع المجاني من قبل Friends General Conference في ولاية فيلاديلفا الامريكية. الترجمة العربية تمت من قبل Ramallah Friends Meeting بالتنسيق مع Brummana Friends Meeting في لبنان.